دور الكتب السماوية الأخرى في شرح وتفسير القرآن

(ترجمات القرآن الإنجليزية نموذجًا)

THE ROLE OF OTHER HEAVENLY BOOKS TO EXPLAIN AND INTERPRET THE QURAN
(English translations of the Quran as model)

د.أورنك زيب الأعظمي *

ABSTRACT:
The Qur'an is a heavenly book which was revealed to the Prophet Muhammad (PBUH). It is in the language of the Arabs of Quraish and deals with the basics for all spheres of life and field. Apart from this aspect of the Book, the Qur'an has discussed the other heavenly books which were revealed to other prophets and messengers of Allah-Moses, Jesus and others. These old heavenly books contained information regarding teachings of their holders beside information which was not revealed and added to it in later periods. The Qur'an has indicated to both the sides of these books where these books prove to be remnants of the heavenly teachings and also to be additions of their followers and later generations for reasons do not need to be mentioned here.
This article tries to shed light on the contents of the Qur'an, its being a heavenly book, its sources of explanations and finally proves that these heavenly books have some roles in explaining the Qur'an because these were revealed by Allah and still these have information remained out of the original text to prove the authenticity of the final revelation of Allah-the Qur'an, and to explain some of its difficult places and contents. The author has given ten examples wherein he proved that these heavenly books are not destroyed totally but these contain some real and original texts of the heavenly revelations to which the Qur'an itself pointed out.

KEYWORDS: Qur'an, revelation Quraish, Heavenly Books, Authenticity

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، الهند

الكلمات المفتاحية: القرآن ، الوحى ، قريش ، الكتب المنزله ، أصالة

ملخص البحث

لقد لعبت كافة المصادر المتواجدة لشرح وتفسير القرآن دورًا هامًّا في تفسير وتأويل آياته وسوره فلكلام العرب الجاهلي دور في تفسيره كما لأحاديث النبي الكريم دور كما لآثار الصحابة الأجلة دور، وفوق هذه كلها القرآن يفسّر بعضه بعضًا، أصل أوّل معترف به لدى كافة المفسّرين والمبيّنين لمعاني ومفاهيم القرآن الكريم. ومن بين هذه الأدوار ما قامت به الصحف السماوية الأولى من التوراة والإنجيل والكتب المقدّسة فقد أشار القرآن في غير ما آية إلى أنه مصدّق لما ذكر في الكتب السماوية الأولى التي لها دلائل وبراهين على صدق هذا الكتاب الرباني النهائي.

وليس هذا فحسب بل حثّ الرسول الكريم ﷺ أصحابه على أن يدرسوا الصحف السماوية الأولى كي يتعرفوا على ما فيها ويستدلوا بها على صدق كتابهم الإلهي الجليل. ونظرًا لهذا الأصل المهمّ فقد استفاد الصحابة الكرام ومن جاءوا بعدهم من التابعين ومن تبعهم حتى لم يأل المفسّرون جهدًا في الاستفادة منها وعلى رأسهم الإمام عبد الحميد الفراهي الذي كان ماهرًا في اللغة العربية مع تضلعه من العربية وعلومها وفنونها، وانقطاعه إلى تدبر القرآن وسبر غوره.

والمقالة القادمة شرح هذه الفكرة بدلائل من آيات للقرآن وشرحها وتفسيرها في ضوء الكتب السماوية الأولى ثم دراسة ترجماتها الإنجليزية دراسة نقدية.

مدخل في الموضوع: المصادر التي فسّر في ضوءها العلماءُ القرآنَ الكريم هي القرآن ذاته ثم كلام العرب القحّ ثم أحاديث النبي العربي ﷺ ثم الصحف السماوية الأولى وزد عليها آثار الصحابة وآراء التابعين الذين نقلوا ما أخذوا عن صحابة الرسول العربي صلّى الله عليه وسلّم. فصّل هذه الأصول كلٌّ من المفّكرين في القرآن الكريم وعلى رأسهم العلامة ابن كثير في الوطن العربي والعلامة عبد الحميد الفراهي في شبه القارة الهندية. ولا يخفى على من له أدنى إلمام بالقرآن الكريم ما قاموا به من الخدمات الجليلة في هذا المجال المبارك.

وفيما يلي دراسة وجيزة لهذا الأصل القديم في ضوء دلائل وأمثلة من القرآن الكريم ثم شرحها وتفسيرها في ضوء الكتب السماوية الأولى ولاسيما ترجماتها الإنجليزية التي قد وهم فيها الكثيرون.

دور الصحف السماوية الأولى في تفسير القرآن ودراسة ترجماتها الإنجليزية

أسلفنا الحديث عن دور الكتب السماوية الأخرى في تعيين معاني مفردات القرآن وتوضيح آياته وتفهيم محتوياته فقد استفاد منها الرسول الكريم كما اعتبرها الصحابة الكرام وسيلة ناجحة لفهم القرآن حتى أن

التابعين قد غالوا فيها فحشوا تفاسير القرآن من خرافات أهل الكتاب ورواياتهم المضلّة. وفيما يلي عشرة أمثلة من القرآن وتفسيرها في ضوء الصحف السماوية وترجماتها الإنجليزية:

١. **قال تعالى**: "قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ"[١]

هذا هو تقرير الاثني عشر نقيبًا الذين بعثهم موسى للبحث عن وضع أهالي فلسطين فما وصفوهم من صورتهم وقوتهم ومعاملتهم مذكورة في التوراة فجاء فيها:

"الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها. وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة. وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة. فكنّا في أعيننا كالجراد وهكذا كنّا في أعينهم".[٢]

فيبدو من هذا التقرير أن أهالي فلسطين كان بعضهم ظالما على بعض وكانوا ذوي جسد طويل ومرير ولهذه كلها استخدم الله تعالى كلمة "جبار" فالآن لننظر في ترجمتها عندهم هل هي تفي المعنى أم لا؟ فترجمها م. شاكر بـ"strong" بينما ترجمها عبد الله يوسف وتقي الدين وصاحبه بـ "of exceeding strength" و"of great strength" فكل هؤلاء لم يروا فيها إلا جانب القوة وهي تكون في القصير كما هي تكون في الطويل ولا يجب على كل قوي أن يكون ظالما فاقرأ ترجمتهم:

"... surely there is a strong race in it..." (م. شاكر)

"... in this land are a people of exceeding strength..." (عبد الله يوسف)

"in it are a people of great strength..." (تقي الدين وصاحبه)

ويرى عبد الماجد الدريا بادي أنها استخدام القوة بدون الوعي برأي الآخرين فهو يترجم هكذا:

"... verily therein are a people high-handed..."

يزيدها إرونغ معنى الظلم فهو يترجم:

"...there is a heavy-handed folk in it..."

ويرى السير ظفر الله خان أنها القوة فهو يترجم فيما يلي:

"... there is in that land a powerful people..."

يزيدها شير علي معنى سوء المعاملة فهو يترجم:

"...there is in that land a haughty and powerful people..."

وتشبه ترجمته ترجمة آربيري إلا أن فيها كبرياء وظلمًا على الآخرين فهو يترجم:

".. there are people in it very arrogant..."

وأما بيكثال فهو أصاب الهدف فترجمها بكلمة تفي كافة المعاني؛ القوة والطول والظلم والسيطرة. هذه الكلمة هي ''giant''[٣] فهو يترجم هكذا:

''… a giant people (dwell) therein…''

٢. **وقال تعالى**: "فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ"[٤]

هذه الآية تدل على بشرى إبراهيم بولده وجداله في عذاب قوم لوط. كان إبراهيم عليه السلام رحيمًا على البشر قانتًا لله فإن حدث أمر أو ظن حدوث أمر بدأ يدعو الله فيه بتضرع طويل وبأسلوب طفل يسأل أباه شيئًا فكان يلحّ في دعائه ويصرّ على رأيه. هذا هو الجدال بينه وبين ربه، لا الجدال بين عدوين أو بين اثنين يخالف بعضهما بعضًا ولمزيد توضيح وتفهيم هذه المجادلة ننقل فيما يلي ذكره في التوراة وهي خير توضيح لهذه الحقيقة فجاء فيها:

"فتقدم إبراهيم وقال: أفتهلك البار مع الأثيم عسى أن يكون خمسون بارًّا في المدينة. أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارًّا الذين فيه. حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البارّ مع الاثيم فيكون البار كالأثيم. حاشا لك. أ ديّان كل الأرض لا يصنع عدلًا فقال الرب إن وجدت في سدوم خمسين بارًا في المدينة فإني أصفح عن المكان كله من أجلهم فأجاب إبراهيم وقال إني قد شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد. ربما نقص الخمسين بارًا خمسة. أتهلك كل المدينة بالخمسة فقال لا أهلك إن وجدت هناك خمسة وأربعين. فعاد يكلمه أيضًا وقال عسى أن يوجد هناك أربعون، فقال لا أفعل من أجل الأربعين. فقال لا يسخط المولى فأتكلم. عسى أن يوجد هناك ثلاثون. فقال لا أفعل إن وجدت هناك ثلاثين فقال إن قد شرعت أكلم المولى. عسى أن يوجد هناك عشرون. فقال لا أهلك من أجل العشرين."[٥]

فيبدو من هذه الصورة أن معنى المجادلة هو ''plead'' أو ''argue'' لا ''dispute'' فإنها تعني في بعض الأحيان الجدال لشيء سُلِب.

وأما المترجمون فتحزبوا في حزبين؛ حزب يترجمها بـ''plead'' وهو يشمل إرونغ وبيكثال وعبد الله يوسف علي والسير ظفر الله خان وم. شاكر وتقي الدين الهلالي وصاحبه فيقول إرونغ مثلًا:

''so when his dismay left Abraham and the news came (home) to him, he pleaded with Us about Lot's folk…''

وأما من فضّل ''disputes'' هم آربيري وشير علي وعبد الماجد الدريابادي فيترجم آربيري مثلًا:

''So, when the awa departed from Abraham and the good tidings came to him, he was disputing with Us concerning the people of

Lot…"

وهناك شيء آخر يجدر بالنظر فيه وهو أسلوب حذف الماضي المركب بالمضارع ف"يجادلنا" هو "صار يجادلنا" كما ذكرنا في فصل الأساليب.

يؤيدني في هذا عبد الله يوسف علي والسير ظفر الله خان والمولوي شير علي وم. شاكر وعبد الماجد الدريابادي وتقي الدين وصاحبه في ترجماتهم.

٣. وقال تعالى: "اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى".[٦]

من عادة القرآن أنه يصحّح أخطاء الكتب السماوية الأخرى في غير موضع منه ولكنه لا يشير إليها إلا قليلًا ولا يمكن لأحد أن يعرف هذه الإصلاحات وتلك الأخطاء إلا أن يكون دارسًا لها وناظرًا فيها ومن مثل هذه المواضع الآية الثانية والعشرون من سورة طه:

فقد أشار فيها القرآن إلى أن موسى لم تكن يده البيضاء لأجل مرض مثل البرص بل كانت هي آية والدليل على هذا كونها بيضاء عند دخولها في الجيب لا في كافة الأوقات والمناسبات ولكن جعلها أهل الكتاب مرضًا فذكروها في التوراة أن يده البيضاء كانت هكذا لأجل مرض البرص. أجاب القرآن على هذا في هذه السورة كما ردّ عليه في سورة القصص حيث قال: "اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ".[٧]

فكلمة "من غير سوء" جواب لأهل الكتاب الذي اعتبروها مرضًا ولا يعلم هذا إلا عن دراسة التوراة فقد جاء فيها:

"ثم قال الرب أيضًا أدخل يدك في عبِّك. فأدخل يده في عبِّه. ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج. ثم قال له ردّ يدك في عبِّك. فردّ يده إلى عبِّه. ثم أخرجها من عبّه وإذا قد عادت مثل جسده".[٨]

هذا ويبدو من السياق أن كلمة "سوء" هنا جاءت في معنى "المرض" أي مرض البرص كما هو المذكور في التوراة فترجمته تكون "blemish" لا ذلك السوء الذي يعني سوء الخلق وهو "evil".

أما ترجمتها في كلا الموضعين فاقرءها في هذا الجدول:

اسم المترجم	سورة طه	سورة القصص
١ – إرونغ	Blemish	being harmed
٢ – آربيري	Evil	evil
٣ – بيكثال	hurt	hurt
٤ – عبد الله يوسف علي	harm (or stain)	stain (or harm)
٥ – ظفر الله خان	blemish	blemish

٦– شير علي	disease	disease
٧– م. شاكر	evil	evil
٨– عبد الماجد	hurt	hurt
٩– تقي الدين وصاحبه	disease	disease

فلو وضعنا أصل عمل آخر العمر أمام أعيننا لفضّلنا ترجمة سورة القصص على ترجمة سورة طه فإنها مؤخرة ترجمة ونقلًا فالمترجم، كما هو المفهوم، أولًا نقل معاني سورة طه ثم توجه إلى سورة القصص فما كتب في سورة القصص أحكم عنده مما كتب في ترجمة سورة طه.

وطبق هذا الأصل فالترجمة المفضلة لدى إرونغ هي being harmed أو بعبارة أخرى "harm" ويقرب منها "hurt" الذي اختاره بيكثال وعبد الماجد وكلتا الترجمتين لا تعطي المعنى الذي ذكر في التوراة والذي أراه القرآن بالإشارة إليه.

يترجمها آربيري بـ"evil" ويتبعه م. شاكر وشير علي إلا أن الأخير زاد كلمة "effect" فحاول أن يقرب من المفهوم ويااله لو اختار ترجمته الأولى: disease التي اختارها تقي الدين وصاحبه فقربا من المعنى ولو لم يصيبا الهدف. ترجمة آربيري وأتباعه خاطئة بما أنها في معنى سوء الخلق أكثر مما هي في معنى المرض.

ويترجمها عبد الله يوسف علي بـ"stain" الكلمة التي تختص بسوء لون الشيء مثل الشأي أو سوء ذكر عادة أحد أي سوء الخلق.

وأما السير ظفر الله خان فهو يفضّل كلمة "blemish" التي تدل على المعنى خير دلالة. اختارها إرونغ في ترجمته الأولى والواقع أنها: blemish caused by leprosy فالترجمة الأقرب من ذكر التوراة والقرآن هي:

"... now clasp thy hand to thy arm-pit, it shall come forth blazing white, without any blemish of leprosy..."

٤. وقال تعالى: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ".[٩]

تفكر في هذه الآية ثم عيِّن المراد من "الأرض" و"الذكر" لا يتضح هذا إلا بعد الرجوع إلى الزبور الذي أحال إليه القرآن فجاء فيه:

"لا تغر من الأشرار ولا تحسد عمال الإثم فانهم مثل الحشيش سريعًا يقطعون ومثل العشب الأخضر يذبلون. الكل على الرب وافعل الخير. اسكن الأرض وارع الأمانة. وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك. سلّم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجري. ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة. انتظر الرب

واصبر له ولا تغر من الذي ينجح في طريقه من الرجال المجري مكايده. كفّ عن الغضب واترك السخط ولا تغر لفعل الشر. لأن عاملي الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض. بعد قليل لا يكون الشرير. تطلع في مكانه فلا يكون. أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون في كثرة السلامة.

الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرّق عليه أسنانه. الرب يضحك به لأنه رأيا أن يومه آتٍ. الأشرار قد سلّوا السيف ومدّوا قومهم لرمي المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم. أسيفهم يدخل في قلبهم وقسيهم تنكسر.

القليل الاذيا للصديق خير من ثروة أشرارًا كثيرين. لأن سواعد الأشرار تنكسرُ عاضد الصديقين الرب. الرب عارف أيام الكملة وميراثهم إلى الأبد يكون. لا يخزون في زمن السوء وفي أيام الجوع يشبعون. لأن الأشرار وأعداء الرب كبهاء المراعي. فنوا كالدخان فنوا. الشرير يستعرض ولا يفي أما الصديق فيتراف ويعطى لأن المباركين منه يرثون الأرض والمعلونين منه يقطعون.

حدّ عن الشر وافعل الخير واسكن إلى الأبد. لأن الرب يحب الحق ولا يتخلى عن أتقيائه. إلى الأبد يحفظون. أما نسل الأشرار فينقطع الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد. فم الصديق يلهج بالحكمة لسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه في قلبه. لا تتقلقل خطواته. الشرير يراقب الصديق محاولًا أن يمينه. الرب لا يتركه في يده ولا يحكم عليه عند محاكمته. انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض".[١٠]

والآن تفكر في كل موضع جاء فيه ذكر الأرض وما سبقها من الوعظ والنصح يتضح لك بادئ ذي بدء أن الأرض ليست الأرض التي نحي فيها وستفنى يومًا بل هي الأرض الخالدة وهي الجنة وما حواها من العالم وأما الذكر فهو ذكر هذه الأمور قبل ذكر الأرض وهو يشبه الوعظ والنصح.

تفكر في هذا الأسلوب مرة أخرى ثم راجع إلى سورة الرحمن تجد بينهما شبهًا كبيرًا.

نفس الشيء ذكره القرآن في سورة إبراهيم:

"فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ".[١١]

والأرض المبدَّلة والسماوت المبدَّلة هي التي جاء ذكرها في الآية القادمة.

والآن لنر ترجمتها عند هؤلاء.

فيرى إرونغ وآربيري وبيكثال وعبد الله يوسف وتقي الدين وصاحبه شيئًا خاصًا إلا أن عبد الله يوسف ظنه ذكرًا أعطى موسى بينما اعتبره تقي الدين وصاحبه اللوح المحفوظ وكلهم أخطأوا.

ويرى السير ظفر الله خان وشير علي وعبد الماجد الدريابادي أنه تهديد فقربوا من المفهوم ولو أنهم لم يصيبوا فالذي أصاب الهدف هو م. شاكر الذي يراه ذكرًا.

وأما الأرض فزعم كافة المترجمين إلا السير ظفر الله خان وتقي الدين وصاحبه أنها الأرض التي نحيى والتي ستفنى يومًا من الأيام فهم لم يحاولوا النظر في الزبور وأما السير ظفر الله خان وتقي الدين وصاحبه فقهم يرون أرضاً خاصة (The Land) فكأنه أراد الأرض المبدلة ويدل على هذا تجلية حرف اللام (L) كما أوضح الدكتور تقي الدين وصاحبه بذكر الجنة.

إقرأ ترجمات بعضهم كمثال:

"We have written in the Psalms following the Reminder, "My honorable servants shall inherit the earth…" (إرونغ)

"Before this We wrote in the Psalms, after the message (Given to Moses): "My servants the righteous, shall inherit the earth…" (عبد الله يوسف)

"And certainly We wrote in the Book of David, after the reminder, that My righteous servants shall inherit the land…" (م. شاكر)

"And indeed We have written in Az-Zabur (all revealed Holy Books) after al-Lauh al-Mahfuz that my righteous slaves shall inherit the land (Paradise)…" (تقي الدين وصاحبه)

"We have recorded in the Book of David, after extortation, that My righteous servants shall inherit the Land…"(السير ظفر الله خان)

فالترجمة الأولى هي:

"And We have written in the Psalms after reminder that My righteous slaves will inherit the Earth (Paradise).

٥. **وقال تعالى**: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ". [١٢]

إقرأ هذه الآية ثم حاول أن تعيّن المراد من "ماء مدين" و"أمة" ولا تعينك في هذا إلا الصحف السماوية التي جاء فيها ذكره فتقول التوراة فيها:

"فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر وكان لكاهن مديان سبع بنات. فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن. فأتى الرعاة وطردوهن. فنهض موسى وانجدهن وسقى غنمهن". [١٣]

فيبدو من هذا الحديث أن المراد من "ماء" هو البئر ويمكن أن نريد منه الينبوع الذي لا يكون مختلفًا عن البئر في الجبل وكلاهما يكون السبيل إليه ضيقًا فلا يمكن للضعيف أن يصل إليه إلا في النهاية وأما "أمة" فتدل عليها كلمة "الرعاء" أي ازدحام من الرعاة ولا يدخل فيه كونهم من قبيلة واحد بل يغلب الظن أن يكونوا من قبائل مختلفة ذات قوى مختلفة فيورد الأقوى ثم الأضعف منه ثم الأضعف منه وهلم جرًا وهذا يبدو من قول ابنة شعيب عليه السلام.

هذا ولننظر الآن في ترجمتهم لهما في صورة جدول:

اسم المترجم	سورة طه	سورة القصص
١ – إرونغ	water of Midian	a company of people
٢ – آربيري	waters of Midian	a company of the people
٣ – بيكثال	water of Midian	a whole tribe of men
٤ – عبد الله يوسف علي	the watering (place) (a deep well في الهامش)	a group of men
٥ – ظفر الله خان	the spring of Midian	a crowd of people
٦ – شير علي	water of Midian	a party of men
٧– م. شاكر	water of Madyan	a group of men
٨– عبد الماجد	waters of Madyan	a community of people
٩ – تقي الدين وصاحبه	the water (a well) of Madyan	a group of men

فيرى إرونغ وآربيري وبيكثال وشير علي وم. شاكر وعبد الماجد الدريا بادي ماء البحر والنهر والغدير فإن "water" أو "waters" لا يدخل فيه ماء البئر كما يوضحه معجم أوكسفورد حتى أن ماء

الينبوع أيضًا خارج عنه فإنه أيضًا يكون في نطاق ضيق و"water" أو "waters" يوجب نطاقًا واسعًا في سطح الأرض.

يخالفهم عبد الله يوسف والسير ظفر الله خان وتقي الدين وصاحبه فيرى الأول والأخير البئر (well) بينما الوسط يعني به "الينبوع" (spring) فهما أصابا الهدف إلا أن الأول والأخير وافقا وإشارات التوراة.

خذ الكلمة الأخرى أي "أمة" يذهب معظم المترجمين إلى جماعة خاصة ذات أفراد خاصة فكلمات "company" و"group" و"party" و"community" و"a whole tribe" تدل على جماعة رجال ذوي مذهب واحد أو نسل واحد أو فكرة واحدة فلا بدَّ لها من أن يكونوا متحدين فيما بينهم لهدف أو غرض وهذا لم يرد به القرآن كما يدل عليه كلمة "الرعاء".

يخالفهم السير ظفر الله خان بحيث انه يترجمها بـ"crowd" فمن يكون قويًا من بين الازدحام يورد أولًا وثم وثم وهلم جرًا. وهذا هو المراد والمفهوم من السياق والعقل كذلك.

فالترجمة الأولى عندي هي:

"And when he arrived at the well of Madian, he found there a crowd of people..."

٦. **وقال تعالى**: "فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا".[١٤]

هاتان الآيتان تخبران بوصول أبوي يوسف وإخوته إلى مصر وسجودهم له ولكن يثور هناك سؤال: هل السجود ذلك السجود الذي نعرفه اليوم أم كان سجودًا آخر. يكشف عنه الستار التوراة فقد جاء فيها:

"فدخلت بتشيع إلى الملك إلى المخدع. وكان الملك قد شاخ جدًا وكانت أيشج الشوغية تخدم الملك. فخرّت بتشيع وسجدت للملك. فقال الملك مالك؟...".[١٥]

فيبدو من هذا أن السجود في ذلك العهد كان عامًا لتعظيم الكبار وما كان يجب فيه وضع الناصية على الأرض ولو كان ذلك لما ضرّ بتعظيم الله الواحد القهار فإن ذلك حرّمه الله فيما بعد وأشار إليه النبي صلّى الله عليه وسلّم.[١٦]

وإذا نظرنا في ضوء هذا الحديث في هذه الكلمة وترجمتها بقلم المترجمين وجدنا أنهم يتحزبون في حزبين، حزب يترجمها بـ"to fall down prostrate" وما شابهه من الأساليب ويعتبر المسجود له يوسف عليه السلام والحزب الآخر يذهب إلى سجودهم لله للهروب من كلمة "السجود" ظانًا أنه

خاص بالله ولو نظروا في الكتب السماوية ودرسوا تاريخهم لما وقعوا في هذا الخطأ واقرأ ترجمتهم لها على سبيل المثال:

"… and the others fell down prostrate before him…" (آربيري)

"… and they fell down in prostration before him…" (م. شاكر)

"… and they fell down on their knees before him…" (إرونغ)

ويترجمها الحزب الآخر وهو يشمل السير ظفر الله خان والمولوي شير علي:

"… and they fell down prostrate before Allah in gratitude…" (السير ظفر الله خان)

"… and they fell down prostrate before God for him…" (شير علي)

والترجمة الأولى عندي والأقرب من مشتملات التوراة هي التي قام بها إرونغ.

٧. **وقال تعالى**: "فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ".[١٧]

إقرأ هذه الآية التي جاء فيها ذكر تدمير آل فرعون الذي كان يظن نفسه مالكًا للكون ولكنه لما تم تدميره لم يبك عليه أحد أي مات في مكان لم يكن فيه أحد أتباعه فمات غير مبكي عليه[١٨] فبكاء السماء والأرض على أحد تعبير عن حزن كافة المخلوقات فيه لسبب كونه عزيزًا لديهم رحيمًا عليهم. استخدم هذا التعبير في التوراة فجاء فيها:

"صوت دم أخيك صارخ إلي من الأرض فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك. متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائهًا هاربًا تكون في الأرض".[١٩]

ومثل هذا التعبير متوفر في كافة اللغات حتى نقرأه في لغتنا الأردوية.

ترجمها كافة المترجمين ترجمة صحيحة فننقل ترجمة بعضهم كمثال.

يقول آربيري:

"… neither heaven nor earth wept for them…"

ويقول عبد الله يوسف علي:

"And neither heaven nor earth shed a tear over them…"

ويترجمها م. شاكر:

"… so the heaven and the earth did not weep for them..."

٨. **وقال تعالى**: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ".[٢٠]

هذه الآية من سورة العنكبوت التي تنطق عن مسؤوليات الرسل وأقوامهم والعراقل والملمّات في سبيل الدعوة إلى التوحيد فذكر نوح أيضًا لإثبات هذا الواقع فذكر الله تعالى أن نوحًا بقي داعيًا لأكثر من تسعمئة سنة ولم يؤمن به إلا قليل.

من يقرأ عن هذا القدر من طول عمر نوح في زماننا هذا يقعد حيران ومتعجبًا ولكنه ليس بمستبعد فقد كان الناس يحييون لهذا القدر من العمر في ذلك الزمان ويدل على هذا مشتملات التوراة فقد جاء فيها:

"وعاش نوح بعد الطوفان ثلثمئة وخمسين سنة فكانت كل أيام نوح تسعمئة وخمسين سنة".[٢١]

ترجمه كل منهم ترجمة صائبة إلا أن ترجمة آربيري أفصح كما أن ترجمة السير ظفر الله خان أقل فصاحة من الآخرين. فلنقرء ترجمة كليهما. قال آربيري:

"Indeed, We sent Noah to his people, and he tarried among them a thousand years, all but fifty: so the Flood seized them, while they were evildoers"

ويترجم السير ظفر الله خان:

"We sent Noah to his people and he remained with them fifty years short of one thousand"

وذلك فإن القرآن يؤكد على الألف لطول مدته ولا يريد تعيين المدة.

٩. **محمد رسول الله:** قال تعالى: "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا".[٢٢]

هنا فقط نبحث عن اشتراك النبي وصحابته في صفة الشدة على الكفار والرحمة بينهم ونرى كيف تعين الصحف السماوية الأخرى في تعيين المراد الصحيح من القرآن فقد أشار القرآن، كما في هذه الآية، إلى أن مثل النبي وصحابته مذكور في التوراة والإنجيل فقد جاء في الاستثناء:

"جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم".[٢٣]

وجاء في إنجيل متى:

"إن الحجر الذي رذله البنّاءون هو صار رأسًا للزاوية من عند الرب كان ذلك وهو عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تصنع ثمره ومن سقط على هذا الحجر يتهشم ومن سقط هو عليه يطحنه". [٢٤]

فالفقرة الأخيرة نفس ما قاله القرآن بـ"أشداء على الكفار".

وجاء في الإستثناء كذلك: "فأحب الشعب جميع قديسيه في يدك". [٢٥]

فثبت من هذا أن النبي صلّى الله عليه وسلّم مشترك في صفة الشدة على الكفار والرحمة على الصحابة ومن ثم يقع "رسول الله" بدلًا من محمد صلّى الله عليه وسلّم.

ولكن المترجمين كلهم فصلوا محمدًا صلّى الله عليه وسلّم من هاتين الصفتين وجعلوا "محمد رسول الله" جملة مستقلة وبهذا فقدوا تلك البلاغة التي كانت مختفية في جعل "رسول الله" بدلًا. إقرء ترجمة بعضهم على سبيل المثال:

"Muhammad is the Messenger of God, and those who are with him are hard against the unbelievers, merciful one to another" (آربيري)

"Muhammad is the Messeger of Allah; and those who are with him are strong against unbelievers, (but) compassionate amongst each other" (عبد الله يوسف علي)

"Muhammad is the Messenger of Allah. And those who are with him are hard against the disbelievers, tender among themselves" (شير علي)

والترجمة الأولى عندي هي:

"Muhammad the Messenger of Allah and those who are with him are hard against the pagans, compassionate amongst themselves."

١٠. **وقال تعالى**: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ". [٢٦]

إقرأ هذه الآيات ثم تفكر في لعنة المسيح وداؤد على بني إسرائيل هل تدري ماذا قال هذان الرسولان؟ لا ولا أدري من عند نفسي. إنما هي الصحف السماوية التي تخبرنا بها فقد جاء في الزبور:

"والشرير قال الله ما لك تحدث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك. وأنت قد أبغضت التأديب والقيت كلامي خلفك إذا رأيت سارقًا وافقته ومع الزناة نصيبك. اطلقت فمك بالشر ولسانك يخترع غشًا. تجلس تتكلم على أخيك. لابن أمك تضع معثرة هذه صنعت وسكت. ظنن إلي مثلك. أوبخك واصف خطاياك أمام عينيك. افهموا هذا يا أيها الناسون الله لئلا افترسكم ولا منفذ".[٢٧]

وكذا جاء في الإنجيل:

"الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المراءون فإنكم تغلقون السماوات في وجوه الناس فلا أنتم تدخلون ولا الداخلين تتركونهم يدخلون. الويل لكم أيها الكتبة والفرسيون المراءون فإنكم تأكلون بيوت الأرامل بعلة تطويل صلواتكم ومن أجل هذا ستنالكم دينونة أعظم. الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المرءاون فإنكم تطوفون البرّ والبحر لتجلبوا دخيلًا واحدًا فإذا حصل صيّرتموه ابن جهنم ضعف ما أنتم عليه. الويل لكم أيها القادة العميان القاتلون من حلف بالهيكل بشيء ومن حلف بذهب الهيكل يطالب، أيها الجهال والعميان ما الأعظم الذهب أم الهيكل الذي يقدّس الذهب. ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ومن حلف بالقربان الذي فوقه يطالب. أيها العميان ما الأعظم القربان أم المذبح الذي يقدّس القربان. فمن حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه. ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه. ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه. الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المراءون فإنكم تعشرن النعنع والشبث والكمون وتتركون أثقل ما في الناموس وهو العدل والرحمة والإيمان. وكان ينبغي أن تعلموا هذه ولا تتركوا تلك. أيها القادة العميان الذين يصفّون من البعوضة ويبلعون الجمل. الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المراءون فإنكم تنقّون خارج الكأس والجام وداخلها مملوء خطفًا ودعارة. أيها الفريسي الأعمى نقّ أولًا داخلًا لكأس والجام حتى يتطهر خارجهما أيضًا. الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المراءون فإنكم تشبهون القبور المحصصة التي ترى للناس من خارجها حسنة وهي من داخلها مملوءة عظامَ أموات وكل نجاسة. كذلك أنتم يرى الناس ظاهركم مثل الصديقين وأنتم من داخل ممتلوءون رئاءً وإثمًا. الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المراءون فإنكم تشيدون قبور الأنبياء وتزينون مدامن الصديقين وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما كنا شاركناهم في دم الأنبياء. فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم بنو قتلة الأنبياء.فجمّعوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيّات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جنهم. من أجل ذلك أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم من تقتلون وتصلبون ومنهم من تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة لكي يأتي عليكم كل دم زكي

سُفِك على الأرض من دمِ هابيل الصديق إلى دم زكريا من بركيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم إن هذا كله سيأتي هذا الجيل. يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم من مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا هوذا بينكم يترك لكم خرابًا. فإني أقول لكم إنكم من الآن لا ترونني حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب".[٢٨]

والآن قد تجلى لي ولكم ماذا لعنه الرسولان على بني إسرائيل فاقرأ الآيات مرة أخرى تجد لذة أخرى قبل دراسة هذه الصفحات من الزبور والإنجيل.

فالصحف السماوية القديمة توضِّح مشتملات القرآن كما هي تحدِّد معانيه ومفاهيمه وهي خير وسيلة لفهم القرآن. الآن إقرأ ترجمتها وكلٌ أصاب، قال إرونغ:

"Those children of Israel who disbelieved were cursed by the tongue of David and Jesus, the sun of Mary. That was because they disobeyed and had acted defiantly. They did not refrain from the debauchery they were indulging in; how awful is what they had been doing! You will see many of them making friends with those who disbelieve. How wretched is what their souls have sent on ahead for them, since God is exasperated with them and they will live in torment for ever. If they had believed in God and the Prophet, and what was sent down to him, they would not have adopted them as patrons; but so many of them are perverse."

ويترجمها عبد الله يوسف علي هكذا:

"Curse were pronounced on those among the Children of Israel who rejected Faith, by the tongue of David and of Jesus the son of Mary: because they disobeyed and persisted in Excesses. Nor did they forbid one another the iniquities which they committed: evil indeed were the deeds which they did. Thou seest many of them turning in friendship to the Unbelievers. Evil indeed are (the works) which their souls have sent forward before them

(with the result), that Allah's wrath is on them, and in torment will they abide. If only they had believed in Allah, in the Prophet, and in what hath been revealed to him, never would they have taken them for friends and protectors, but most of them are rebellious wrong-doers."

ويترجمها السير ظفر الله خان:

"Those of the children of Israel who disbelieved were cursed by David, and by Jesus son of Mary. That was because they disobeyed and were given to transgression. They did not try to restrain one another from the iniquity which they committed. Evil indeed was that which they used to do. Thou shall see many of them taking the disbelievers as their helpers. Evil indeed is that which they have chosen to send on ahead for themselves, which is that Allah is displeased with them and in this torment shall they abide. Had they believed in Allah and this Prophet, and in that which has been sent down to him, they would not have taken the disbeliveers as their helpers, but most of them are disobedient."

خاتمة البحث

بدا مما كتبنا آنفًا أن الصحف السماوية الأولى من التوراة والإنجيل وغيرهما قد أعانت في فهم وتفهيم مفردات القرآن ومصطلحاته وأساليبه ومحتوياته، ولو أن القرآن واضح في ذاته وبيّن بنفسه ويفسّر بعضه بعضًا إلا أنه لو درس الواحد هذه الصحف السماوية التي نزلت من الله تعالى والتي يصدّقها القرآن الكريم والتي توجد فيها معلومات يمكن بها تأويل آيات القرآن وتفسير محتوياته لاتضح عليه معنى القرآن أكثر من ذي قبل ولاشتدّ إيمانه ولقوي يقينه بالقرآن الكريم الذي يدّعي بكونه صادقًا ويستدلّ على قوله هذا بالصحف السماوية الأولى.

ولقد حاول المترجمون للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، ومنهم آربيري وبيكثال وعبد الله يوسف وآخرون، حاولوا أن ينقلوا معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية فأصابوا الهدف في مواضع كما زلّت أقدامهم في مواضع أخرى فبهذه المناسبة انتهزنا الفرصة فقمنا بدراستها النقدية كي نصيد بحجرة

عصفورين فنقوم بدراسة هذه الترجمات كما نشير إلى أهمية الصحف السماوية الأولى في فهم وتفهيم معاني القرآن الكريم.

المراجع والحواشي

[١] سورة المائدة: ٢٢

[٢] العدد: ١٣/٣٢-٣٣

[٣] يقول عنها صاحب معجم أوكسفور (Giant):

"Giant: a very large strong person who is often cruel and stupid, an unusually large person, animal or plant, a very large and powerful organization, a person who is very good at something"

[٤] سورة هود: ٧٤

[٥] التكوين: ١٨/٢٣-٣٣

[٦] سورة طه: ٢٢

[٧] سورة القصص: ٣٢

[٨] الخروج: ٤/٦-٧

[٩] سورة الأنبياء: ١٠٥

[١٠] المزامير: ٣٧/١-٣٤

[١١] سورة إبراهيم: ٤٧ -٤٨

[١٢] سورة القصص: ٢٣

[١٣] الخروج: ٢/١٥/١٧

[١٤] سورة يوسف: ٩٩-١٠٠

[١٥] الملوك الأول: ١/١٥-١٦

[١٦] سورة العنكبوت: ٨، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا" حجة الله البالغة ١٩٨/٢

"... لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"، المصدر نفسه، ٨٧/٢

"لا تجعلوا زيارة قبري عيدًا"، المصدرنفسه، ٧٢/٢

[١٧] سورة الدخان: ٢٩

[١٨] فيقول عبد الله يوسف علي في حاشيته على هذه الترجمة:

"They died, "unwept, unhonoured, and unsung". They were too inordinate to given another chance. pharaoh had claimed to be their supreme god; and they had followed him!" ص١٥٢٤

[١٩] التكوين: ٤/١٠–١٢

[٢٠] سورة العنكبوت: ١٤

[٢١] التكوين: ٩/٢٨–٢٩

[٢٢] سورة الفتح: ٢٩

[٢٣] التثنية: ٣٣/

[٢٤] إنجيل متى: ٤٣–٤٥

[٢٥] التثنية: ٣٣/١

[٢٦] سورة المائدة: ٧٨–٨١

[٢٧] المزامير: ٥٠/١٦–٢٢

[٢٨] إنجيل متى: ٢٣/١٤–٣٩